فـــردوس المحبـــة

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٣

www.coptology.org

الفصل الأول

الأبواب

-١-

لا يدخله إلَّا الذين طهَّرتهم المحبة.
وعاشوا لها ..
فعاشت فيهم ...
وصاروا بالمحبة أحباءَ الله
وصار الله حبهم الوحيد.

-٢-

أشجارُ فردوس المحبة قليلةٌ:
المعرفة
الحياة
الإفراز
أمَّا ثمارها فكثيرةٌ وأشهرها:
الحرية
الإدراك
القداسة

الخوف

الرجاء.

-٣-

الذين رَغِبوا في فردوس المحبة أنواعٌ:

الذين أُعجِبوا بالمحبة واكتفوا برائحتها.

الذين تذوَّقوها لأنهم احتاجوها.

الذين اتَّحدوا بها لأنهم أرادوا أن يعيشوا لها فقط.

والصنف الأول يحبّون الجَمَال

والصنف الثاني لا يخافون الاختبار

والصنف الثالث كاملون لأنهم لا يفرّقون بين المرّ والحلوّ،

وبالإفراز يختبرون كلَّ شيءٍ ويتمسكون بالحَسِن.

-٤-

الذين طهَّرتهم المحبة يُطهَّرون أولًا مِن قساوة الحرف،

ومِن دنس الشكل،

ويتقدسون بعد ذلك بجوهر الحقيقة.

-٥-

الذين يأكلون من شجرة المعرفة فقط، يسبق الإدراكُ عندهم الإرادة

أمَّا الذين يأكلون من شجرة المعرفة وشجرة الحياة، فتسير الإرادة لديهم مع الإدراك

في اتزانٍ ولا يسبق أحدهما الآخر.

–٦–

مكتوبٌ على أبواب فردوس المحبة:
لا يدخله عُشَّاقُ الحرفِ مهما كانت دموعهم،
لأن عُشَّاقَ الحرفِ نجسون مثل الزناة الذين يعبدون أجساد ضحاياهم،
ويجهلون الأرواح التي تسكنها.

–٧–

مِن بين بابِ الخوفِ وباب الرجاء يدخل العُشَّاقُ فردوس المحبة،
ومَن لا يمرُّ من باب الخوف لا يتعلم الاحتراس
ومَن لا يمرُّ من باب الرجاء يقتله اليأس.

–٨–

الذي يُحبُ محبةً حقيقيةً غير مشوهةٍ بعشقِ الحروف والأشكال يُتقِن الافراز
ويعرف كيف يمر من باب الخوف إلى باب الرجاء.

–٩–

بابٌ واحدٌ مغلقٌ في الفردوس، لا يدخله إلَّا القِلةُ فقط
مكتوبٌ عليه "قدس الأقداس"، والذين أحبوا أن يحترقوا بنار المحبة مثل الله هم وحدهم الذين يدخلونه.

-١٠-

قُدس الأقداسِ قائمٌ وسط لهيب عطاء الذات ...
نارٌ عظيمةٌ تشتعل، لا يقدر على مجابهتها إلَّا الذين يرغبون في الله إلى درجة الموت الذين قيل إنهم "لم يقبلوا النجاة" لكي ينالوا المحبة الحقيقية، وهي قيامة الحق.

-١١-

الفردوسُ حيث المحبةُ، والمحبةُ حيث الفردوسُ،
ومَن يجد المحبة يجد الفردوس فلا فردوس بلا محبة.

-١٢-

الفردوسُ بلا أسوار، وخارجُ الفردوسِ ليس إلَّا الجحيم.

الفصل الثاني

الداخلون

–١–

رأيتُ جمعًا كبيرًا يسير نحو أبواب الفردوس ...
كلٌّ دخل مِن بابٍ يخصُّه ينتهي عنده الدرب الطويل الذي سار فيه.
– البعضُ دخل من باب الحرية طاهرًا ظافرًا من أدران الحرف والشكل،
وارتقى بالحريةِ إلى تذوُّق المحبة حتى أدرك بالحريةِ الكمالَ.
– البعض دخل من باب المعرفة وتطهَّر مِن نجاسة الجهل،
وارتقى سُلَّمَ المعرفة الذي قاده إلى ممارسة ما تذوَّقه.
– البعض دخل من باب القداسة وتطهَّر من كل ما هو غريب عن المحبة حتى تقدَّس كليةً. لكنَّ الكلَّ عبروا من أبواب الخوف والرجاء، ومروا من بوابةٍ ضخمةٍ اسمُها الإفراز، وعندما أتقن الكلُّ المحبةَ أدركتُ أن تعدُّدَ الأبوابَ إنما يؤدي في النهاية إلى هدفٍ واحدٍ، فليس فردوسُ المحبةِ متعددًا، إنما هو فردوسٌ واحدٌ، لأن المحبةَ واحدةٌ والداخلون يدخلون بالائتلاف.

–٢–

عند أبواب الفردوس يسألُ ملائكةُ الله هذه الأسئلة: من أنت؟ من أين أتيت؟ لمن أنت؟ من الذي ولدك؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟ كيف عشت؟ أين

تريد أن تذهب؟ هل لديك شيء آخر غير المحبة؟

وقد أجاب الكلُّ على هذه الأسئلة بكلمةٍ واحدةٍ: المحبة. أمَّا عن السؤال الأخير فقد أجاب الكلُّ إجاباتٍ مختلفةً.. البعضُ قال الوثنية .. البعضُ قال خطايا .. البعضُ ذَكَرَ عقائدَ أخرى ... لكنَّ الكلَّ أدرك أنه سيدخل لأن لديه إجابةً واحدةً، وهي المحبة.

-٣-

يسأل الله الداخلون اليه ليعرف مدى كمال محبتهم:

ما الفرق بين حضوري واحتجابي؟

ويقول المحبوب كما تختلف المعرفةُ والإدراك عن الجهل والنسيان، كذلك يختلفُ حضورُك عن احتجابِك.

-٤-

الذين ذاقوا مرارة احتجاب المحبوب يدخلون الفردوس من أيِّ بابٍ شاءوا، حتى إن أخطأوا، لأن قسوة ومرارة الاحتجاب تجعلهم ضعفاء فيخطئون، ولكنَّهم أولُ الداخلين لأن قلوبهم طاهرةٌ ظمآنةٌ إلى المحبوب الذي تعذَّبوا في سبيل لقائه إيما عذاب.

-٥-

هل أنت كاملٌ في محبتك؟

نعم لأنني لم أُفرِّقُ بين التجربة والفرح .. وكلاهما في المحبة واحدٌ.

-٦-

ماذا لو تضاعفت أحزانك؟
سوف تزيدُ أشواقي إليك.

-٧-

قال المحِبُ: ماذا لو زادت خطاياي؟
قال المحبوب: سوف أزيد الغفران.

-٨-

منعَ الملائكةُ نفرًا من الناس من الدخول وقالوا لهم: لقد فضَّلتم أجسادكم على كل شيء .. فاذهبوا وعيشوا لها لأنها هي الإله الذي عبدتموه.

-٩-

سأل الملائكةُ البعض من الداخلين،
أيهما أحببتم أولًا: الله أم الخليقة؟
الذين قالوا: الله أولًا وُضِعوا في مرتبة النبلاء
أمَّا الذين قالوا: لم نميّز بين الله والخليقة، فقد ارتفعوا إلى مرتبة الملوك إلى الأبد.

-١٠-

سأل الملائكةُ بعض الطَّاهرين، كيف كانت عيونكم وأذهانكم؟

فقال البعضُ: لم نصدق كل ما نراه فتطهرنا من الظنون.
وقال البعضُ الآخر: لم نسأل كثيرًا عن صحة كل ما قيل إذ لا يهُّم كثيرًا أن نحكم على الناس فتطهَّرنا من الإدانة.
وقال البعضُ: كانت عيوننا لا ترى إلَّا ما تريده أذهاننا ..
فقال الملائكةُ: أنتم تسبقون غيركم لأنكم جنود الرحمن مثلنا.

-١١-

مَن يجد مسرته في موهبةٍ من المواهب لا يدخل فردوس المحبة، ولو كانت عنده كل المواهب .. لأنه فضَّل العطيةَ عن مالكها الحقيقي، وشَبِعَ مِن خبز الوليمة دون أن يتعرَّف على صاحب الوليمة .. فأيُّ عارٍ هذا؟ أنه عار الجهل.

-١٢-

أيهما أقرب إلى الله: الإدراك أم الإرادة؟
الذين ذاقوا العطاء الإلهي أدركوا أن الخليقة تعتمد على الإدراك في الاقتراب من الله، لأن الإرادة في حالة العطاء لا تُفيدُ كثيرًا.

-١٣-

الذين وجدوا السماءَ وعرشَ اللهِ في داخلهم عندما تجرَّدوا من الجسد، وجدوا أنفسهم في فردوس المحبة ... وقالوا في دهشةٍ: لقد كان هذا أمامنا في كل حين، ولم نكن ندري أنه سوف يكمُل بالتجرُّد من الجسد.

-١٤-

أدرك العُشَّاقُ أن الصلاة ليست كلامً، إنها حركةُ العين، وخلجة القلب، وسرعة الإدراك، ويقظة الإرادة ... وصارت حياتهم بذلك صلاةً .. فذاقوا المحبة وتهيأوا للاتحاد بها.

الفصل الثالث

أحاديث مع صاحب الفردوس

-١-

+ مَن أنتَ يا صاحبَ الفردوس ... يا عشقَ الإنسانية في كلِّ عصورها؟
لقد أدرك البعضَ اليأسُ، فانصرفوا عنك .. وعشقوا الخليقة بدلًا منك يأسوا، لأن الحواس عندهم غلبت الفكر، والشكلُ أخذ مكان الجوهر.

– لقد كنتُ قريبًا منهم في أشد فترات الظلام ..
وهبتُهم العقلَ وزرعتُ فيهم الأشواق ..
لكنهم أحبوني حجرًا وعبدوني تمثالًا وعشقوني كائنًا أمام أبصارهم فلم أجزع ..
لقد أحبُّوني على أية حال ..
كان خطؤهم الوحيد أنهم أحبُّوني كما كانوا يريدون أن أكون ..
ولم أتمكن مَن أن أجعلهم يدركون أنني أعظم مما تصوروا ..
على أية حالٍ، هم أصدقائي رغم غرقهم في أوحال الحس.

***

+ أكنتَ تُشرِقُ في ظلمات الوثنية؟ .. :أكان لك أصدقاءٌ تألف عشرتهم؟

– أنا كائنٌ أينما وجد إنسانٌ، فالإنسان بدوني عدم .. وعطاءُ الحياة لا يتوقف لأنني أحب البشر.

***

+ لكنهم أغضبوك وأحزنوك وتركوك.

– أنا لست مصابًا بكبرياء الخليقة .. التجرُّدُ يجعلني فوق الأحزان، والقوةُ تجعلني فوق الغضب، والحكمةُ تجعل محبتي رفقًا لا يُشبِّه رفقٌ.

***

+ لكنك لم تكن معروفًا ...

– لم أكن معروفًا كما ظهرتُ بعد ذلك، لكنني في أعماق كلِّ نفسٍ .. ولا تراني النفسُ إلَّا في لحظاتٍ خاطفةٍ، لأن الذي يراني لا يعيش كإنسان، وإنما تتبدد إنسانيته، ولذلك أحتجِبُ.

–٢–

+ انت يا نبعَ المحبة الفائق، كيف أحطتَ نفسك بقيود الذبائح والطقوس والشريعة؟

– كما كنتُ في الوثنية أبعثُ نورَ الإدراك .. كنتُ في اليهوديةِ أبعثُ دفءَ الرحمة.

+ كيف وجزاءُ أبسط الخطايا القتل والرجم .. أنت واضع كل هذا!

– لا .. ولكني سمحتُ به لأمرين: أن يُدرَك الذين أفاضوا في تفاصيل الشريعة أن العقوبة لا تجدي .. لا تجعل المعتدي فاضلًا .. وأن يدرك الناسُ أنني لستُ في أيِّ نظامٍ قانونيٍّ دقيق .. فالنظام يحمي الناس ويؤلِّف بينهم، ولكنه لا يخلق الوحدة.

+ لكنك كنتَ هناك في أعماق سجن الشريعة!

– نعم، فأنا أعطي الشريعة لأن البشَرَ طلبوها .. ومنحتُ لهم ما شاءوا

لعلهم يدركون أن الشريعةَ مهما كانت، لا تمنح المحبة .. وقد كنتُ هناك أرتّبُ في لحظات الظلام لإشراق الفجر .. وأُشرق لأنني أردتُ أن يدرك الناس أن الشريعة لم تمنع الناس عن الارتداد والعودة إلى الوثنية .. فالقانونُ عقابٌ .. والشريعةُ قَصَاصٌ .. أمَّا أنا فمحبة.

+ والذبائح ...

– كانت قسوةُ الإنسان تحتاج إلى صدمةٍ .. إلى الشعور ببراءة الحيوان، فهو لا يُذنِب ولا يضِل .. ويموت البريء عوضًا عن الخطاة .. لعل براءة الخليقة تعيد للإنسانِ براءته .. كلُّ هذا كان ضروريًا. فلقد سَقَطَتْ محبةُ الانسان .. وكانت إعادتها صعبةٌ.

–٣–

– في زمانٍ معتمٍ وُلِدتَ، ومع الفقراء عشتَ، ومع المجرمين صُلِبتَ ودُفِنتَ مع الأموات في قبر .. لكنك أزلتَ كلَّ غموضٍ بالقيامة، اشرح لي أيها المحبوب أسرارَكَ .. على قدر ما أحتَمِل وعلى قدر ما تريد.

– سِرُّ الولادة في بيت لحم تبدو وكأنها واقعةٌ صغيرةٌ .. لقد أردتُ أن آخذ جسدًا .. وأن أنقل إليَّ كيان الإنسان .. وكلَّ احتياجاته .. لم أخذ بشرًا كاملًا .. لأن في ذلك ثنائيةٌ تُفسِدُ المحبةَ .. أردتُ أن أكون جنينًا، وأن أجد ذاتي في لا وعي الطفولة وضعفها .. كان الإخلاءُ أساسيًا .. أنا الحكمةُ، كيف استقرُّ في ظلمات رَحِم العذراء .. أنا الكلمة .. كيف أصمتُ في بطنها .. لكنني أخليت ذاتي لكي أصير مثل الذين أحببتهم.

+ كيف تم اتحادك بالناسوت؟

– بالمحبة.

+ اشرح لي سِرَّ محبتك إذن؟

– أنتَ تودُّ أن تعرف وتفهم ما هو غير مفهوم .. خبِّرني كيف تتصور أن منبع الادراك يقبل طبيعةً ضعيفةَ الإدراك لكي يتَّحدَ بها؟ .. هذا يتطلب منكَ أن تكون مثلي وأن يكون لك محبتي حتى تدرك.

+ هل استطيع؟

– ليس كلُّ الطريق لئلا تفنى وتصبح شيئًا آخر.

+ لماذا؟

– المحبةُ ثقيلةُ الوطأة على أي كيان .. المحبةُ هي نار اللاهوت الفائقة .. وسِرُّ الاتحاد لا يُفهَم بالعقل، لقد حللتُ في الناسوت ولم يكن ضيقًا، كان اتحادي به هو بمثابة اقتبالٍ لكل البشر. كان الناسوتُ محدودًا، وبه كنتُ انتقلُ من الناصرة إلى كفر ناحوم إلى اورشليم .. وكان اختبارًا ممتعًا أن أكون في اورشليم. أرقُبُ العابدين في الهيكل واستمعُ إلى صلواتهم .. ثم أسير وأجيء إليهم بالجسد، وهناك يرونني ولا يعرفون أنني كنتُ قريبًا منهم.

+ هل لك وجودان أيها السيد؟

– نعم كما أن للمحبة وجودين .. وجودٌ أزليٌّ، ووجودٌ في الزمان، وهما واحدٌ .. هكذا كنتُ أرقبَ الدهورَ قبل أن تتكون، ثم جئتُ وسِرتُ في شوارع الناصرة، وأنا أعلم أنني كنتُ أرى كل هذا قبل أن يحدث .. كان ما يمر أمامي معروفًا ملحوظًا من قبل.

+ هل رأيت العذراء قبل أن تولد منها؟

– نعم .. لما لا؟ هي الأُم المختارة .. وكيف تم اختيارها، ومَن إن لم أكن أنا.

+ إن عقلي يحتار ويقف.

– نعم .. وهكذا يجب أن يكون فكر البشر الذين لا يقدرون على أن يمتد وجودهم إلى حيث الأزل، وإلى حيث التاريخ. أنا وحدي الألف والياء .. وإن شاركت البشرية .. فهذا لا ينفي عني أنني قبل الدهور كائنٌ.

+ + +